الديوان كاملاً أنجزه مستشرق ألماني

كيف نقرأ اليوم أبا نؤاس شاعر «الحياة المدنية»؟

محمد علي شمس الدين

■ التراث العربي القديم، الذي هو إرث حضاري قيّم في حقول المعرفة كافة، أدباً وفلسفة وطباً وعلوماً، تبدد الكثير منه بفعل الحروب والحرائق، والإغراق في دجلة والفرات، فضلاً عن النهب والسلب. وما تعرّضت له بغداد في الحرب الأخيرة على العراق، من انتشار اللصوص وراء الجيوش الغازية، والإغارة على المتاحف والمكتبات العامة والخاصة ودور الفنون، فضلاً عن المراكز العلمية، طالما تعرّضت لمثله في السابق. فالتراث العربي والإسلامي منذور على امتداد الأزمنة والعصور، وكلما ضعفت السلطة الحاكمة، لعمليات من التخريب والسرقة، على يد الغزاة أو على يد الغوغاء أو المحترفين من الناس. يروي المؤرخون أن مواقد بغداد بقيت لمدة عام بكامله توقد بالكتب والمخطوطات، بعد اكتساح المغول لها، كما أن مجرى دجلة ومجرى الفرات، قد سُدّا بفعل تراكم الكتب والمخطوطات، وقديماً قيل «بعد خراب البصرة»، فلنتخيّلْ مقدار ما أهدر من هذا التراث العظيم، الذي كان منارة العالم في القرون الوسطى، وجسر انتقال الحضارة والآداب والعلوم من اليونان الى أوروبا... لنتخيّلْ مقدار ما أهدر منه بفعل الغزوات والسلب والتخريب. ومع ذلك، فبعضٌ من نَهْب الكتب والمخطوطات والآثار، ونقلها الى متاحف أوروبا أو الآستانة، أو مكتبة الأسكوريال أو مكتبة المتحف البريطاني بلندن أو مكتبة أمبروزيانا بميلانو أو سواها من المكتبات العامة أو الخاصة في حواضر العالم المتغلّب، كان له مردود ايجابي وإحيائي على المدى الطويل. فلو لم ينقل هذا التراث القيّم الى تلك المكتبات والمتاحف، سرقة كان ذلك أو مصادرةً أو شراءً، فربما كان اندثر في أماكنه ولحقه البلى والخراب.

إنّ عناصر معرفية كثيرة، في حركة النهضة العربية والإحياء الإسلامي، كشف النقاب عنها، محققون غربيون، وعلماء آثار، ودارسون عادوا الى مخطوطات التراث العربي والإسلامي في أكثر من مكتبة ومتحف، واستخرجوا هذه المخطوطات من زوايا مكتباتها المظلمة، وقارنوا في ما بينها، ومن خلال تقميشاتهم ودراساتهم العلمية، التي استعانوا فيها بما توصلت إليه الأبحاث العلمية من دراسة الخطوط وأنواعها، وعمر المخطوطات، والنظر في صحتها أو تزييفها... الى ما هنالك من أساليب ووسائل التحقق التاريخي، ... من خلال ذلك كشفوا النقاب عن جزء كبير ومضيء من هذا التراث، بل أحيوه من جديد، وبعثوه من ظلمات الركود والنسيان، فساهموا بذلك مساهمة جليلة، في حركة الانبعاث والنهضة العربية وعليه، فليس الاستشراق كله رديفاً للاستعمار، أو خادماً له، كما سادت نظرة عدائية لدى بعض المفكرين والمؤرخين، إنّ في الاستشراق جانباً مضيئاً ينبغي إنصافه، حين ندرس عناصر الإحياء العربي والإسلامي. هناك مستشرقون أجلاّء مثل جب ومرغليوث وآدم ميتز، وسواهم، تحركوا في عملهم بدوافع معرفية، باعتبار أن المعرفة تتسم بالشمولية والإنسانية، وسلطتها في خدمة الشعوب واللغات كافة... فلم يعد ثمة مبرر للخلط بين الاستعمار والاستشراق، والحفر المعرفي والثقافي ومعلومات الاستخبارات العسكرية... وقد أشار الى ذلك بامتياز، إدوارد سعيد، في كتابه القيّم عن الاستشراق: «الكتابة، المعرفة، السلطة».

لعل هذه المقدمة، نراها ضرورية للكلام على جهد المستشرق الألماني غريغور شولر، في إخراج ديوان الشاعر العباسي الحسن بن هانئ المعروف في التاريخ باسم أبي نؤاس، بتحقيق جديد وحلّة جديدة، صدرت الطبعة الأولى منه عن جمعية المستشرقين الألمانية، وصدرت الطبعة الخامسة منه حديثاً عن دار المدى في دمشق، بخمسة مجلدات، وحلّة قشيبة.

وفي رأينا إنّ شاعراً بأهمية أبي نؤاس وأثره في تحديث الشعر العربي القديم، يستحق هذا الجهد المبذول في إعادة تحقيق أشعاره ونشرها اليوم بالذات، استناداً الى ما وصل اليه المحققون الغربيون بخاصة، من وسائل حديثة في التقميش والبحث والمقارنة، وذلك لتصحيح التاريخ الشعري والسيرة الشعرية والذاتية لهذا الشاعر وسواه من جهة، وتوطيداً لأواصر العلاقة الإبداعية بين الماضي والحاضر، في ما خص محطات التجديد الشعري في مسيرة الشعر العربي الطويلة، المتدافعة، والمتجددة باستمرار.

لعل التحقيق الذي بين يدينا لديوان أبي نؤاس هو الأكثر دقّةً وعلمية بين تحقيقات سابقة عليه، بل لعله الأكمل، نظراً الى استناده الى جميع ما عرف من مخطوطات أشعار هذا الشاعر، والاستناد الى الأقدم منها، فالأقلّ قدماً، وصولاً الى الروايات المتأخرة وإسقاطها، مع منهج علمي في بيان اختلاف الروايات والنسخ من خلال قواعد متبعة في النشريات الإسلامية.

إن أقدم مجموعة لأبي نؤاس هي «أخبار أبي نؤاس» لأبي هفّان المهزمي الذي ذكره ابن النديم في «الفهرست». وأبو هفّان هذا، كان نديماً لأبي نؤاس... هذا على أن ابن النديم نفسه ذكر إحدى عشرة رواية لديوان أبي نؤاس، هذّبها ورتّبها الصولي من بعده، وأهمّ هذه الروايات اثنتان إحداهما مطوّلة لحمزة الإصبهاني، والثانية منقّحة ومرتبة على حروف الهجاء لأبي بكر الصولي. وما رواه الإصبهاني ثلاثة أضعاف ما رواه الصولي... يضاف لذلك في رواية حمزة الإصبهاني الرسالة المسماة «رسالة الشامي في سرقات أبي نؤاس»، وقد نشرها الدكتور محمد مصطفى هدّارة في القاهرة عن مخطوط لها بمكتبة إسكوريال. تمّ الاستناد الى هذه المخطوطات أساساً في التحقيق الذي بين يدينا، يضاف إليها شرح ابن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢ هـ على منهوكة أبي نؤاس، وهي مطوّلة قالها الشاعر في مدح الفضل بن الربيع، وتعرف بالمنهوكة.

من ذلك نستنتج استناد المحقق الى أقرب المصادر زمانياً من أبي نؤاس: رواية غلامه أبي هفّان المهزمي المتوفى بين سنتي ٢٥٥ هـ و٢٥٧ هـ، والتي حققها ويسرها للقراءة عبدالستار فراج ونشرها في القاهرة عام ١٩٥٣ وقد اعتمد فيها على مخطوط مكتبة حكيم أوغلو الرقم ٩٤٦، ومن ثمّ رواية كل من حمزة الإصبهاني وأبي بكر الصولي وشرح ابن جنّي للمنهوكة.

أما المكتبات التي رجع فيها الى مخطوطات رواية حمزة، فهي مكتبة فاتح في اسطنبول ومكتبة راغب باشا في اسطنبول أيضاً، ومكتبة المتحف البريطاني بلندن ومكتبة كوبريلي باسطنبول، ومكتبة امبروزيانا بميلانو. وفي شرح المنهوكة استند الى نسخة المتحف البريطاني في لندن.

إنه عمل علمي دقيق متقصٍّ وفذّ يقوم به اليوم، مستشرق ألماني، لتحقيق وضبط أشعار شاعر عاش في العصر العباسي، ولم يعرف عنه أنه اهتمّ في حياته، بجمع أشعاره أو المختار منها، كما فعل المتنبي على سبيل المثال، ونسجت حوله الحكايات الشعبية، ونحل إليه الكثير من الشعر، نظراً لطبيعة سيرته ونوادره، وطبيعة أشعاره التي أغرت عدداً كبيراً من الشعراء أو المتأدبين، بمعارضتها أو بتقليدها، دونما ضوابط نقدية تميّز بين الأصيل والمنحول لأبي نؤاس، فاختلط الصحيح منها بالزائف، والأصيل بالمنحول، وبات أبو نؤاس سيرة شعبية تتناقلها الأجيال وتتندر بها، وتضيف عليها ما لم يكن في أصلها، فليس كل ما نسب الى أبي نؤاس من شعر أو من سيرة، هو من أصل شعره وأصل سيرته... وعمل المحقق كان تصفية الأشعار والأخبار، للوصول الى أقرب نقطة مفترضة من الحقيقة.

انتشر شعر أبي نؤاس في الماضي انتشاراً واسعاً مع عدم وجود نسخة كاملة مدققة منه، فكانت له بمصر قصائد لا يعرفها من بالعراق، وكان له في العراق قصائد لم تتداولها بلاد الشام، وكان من أسباب عدم حفظ شعره تباعد الأمصار، والموضوعات المحظورة التي كان يتطرق إليها، فضلاً عن أسباب سياسية تتعلّق بمدائحه وأهاجيه التي نالت رجالاً كانوا في السلطة ثم زالوا عنها أو أزيلوا، كالأمين، والبرامكة... فقد اختفى عدد كبير من مدائحه لجعفر البرمكي، وله مدائح أخرى وأهاج لم يتبقّ منها سوى بدايات قصائد وأبيات حفظها رواة هم معجبون بأبي نؤاس على الأرجح ومتتبعون لأشعاره وأخباره أو معارضون لها معارضة شعرية.

وقوام شعر أبي نؤاس وتجديده، هو في ما استحدثه في شعر أهل زمانه ومن سبقوه، في اللهو والغزل والمجون والعبث وفي ذكر الطرد والصيد ووصف الطلل ونعت النساء والغلمان، هذا على أنه مدح الرشيد والأمين والمأمون والبرامكة، وسواهم من ذوي السلطة في زمانه، ونال أعطياتهم، وكانت له أهاج أيضاً، وأوصاف، إلا أن تفرّده وإحداثه، كانا في الأبواب الأولى من شعره، فالجاحظ يضعه بعد بشّار بن برد، كمولّد، كذلك الأخفش، وعدّه أبو عبيدة، للمحدثين، كامرئ القيس للأوّلين، فهو مولّد مؤسس، كامرئ القيس، وليس ذلك بالقليل، في رصد مراحل التجديد ومفاصله في صيرورة الشعر العربي على العصور.

لاحظ ابن المعتز في كتابه الموسوم بالاختيار من أشعار المحدثين، أن ما كان يأتي به أبو نؤاس من البديع في الشعر، هو «نمط مستطرف». فيه الطرافة والرونق والمفاجأة، فضلاً عن المغامرة في كسر النمط القديم، وصدع المسلّمات الاجتماعية والأدبية، بما لا تعرفه من أساليب وموضوعات، مستجيبة للجديد من خلال بهائه وجماله وأسره.

ولعلّ جملة شعراء عصره البارزين، ولغويي هذا العصر ونقّاده، قد أجمعوا على إعطائه لواء الإحداث والتجديد، بعد بشّار بن برد، اتفق على ذلك ابن الأعرابي والجاحظ وأبو حاتم السجستاني وسواهم من لغويين ونقّاد، كما كان للشعراء المعدودين في عصره رأي فيه، كان ابن الرومي يزعم أنه ليس بعد بشّار أشعر من أبي نؤاس وبشّار أشعر الناس جميعاً ممن تقدّم وتأخّر، وحكى الأخفش البغدادي عن أبي تمّام أنه كان يعود الى شعر كل من أبي نؤاس ومسلم بن الوليد، ويقول: هذا هاروت وهذا ماروت آخذ عنهما السحر. وسئل البحتري عن أبي نؤاس ومسلم أيهما أشعر فقال أبو نؤاس...

وقد قام بمعارضة أشعاره، شعراء كثر من أهل زمانه، فقصّروا عنها أو عن الوصول الى شأوها الرفيع. كان يكفي أن يقول أبو نؤاس قصيدة، ليلتفّ حولها عدد من شعراء عصره، ويعارضوها على نفس الوزن والرويّ والقافية، فضلاً عن المعنى. فحين قال أبو نؤاس قصيدته الميميّة التي يستهلها بالبيت التالي:

«يا شقيقَ النفسِ من حَكَمِ/ نمتَ عن ليلي ولم أنَمِ».

عارضه دعبل الخزاعي بمثلها فقال:

«عاذلي لو شئتَ لم تَلُمِ/ فبسمعي عنك كالصممِ».

ومثلها قصيدة «دع عنك لومي...» فقد عارضها الكثير من شعراء زمانه وغير زمانه، فشعره، من شدّة عذوبته، يغري بالمعارضة.

ويظهر لنا أبو نؤاس من خلال ديوانه المحقق، المشتمل على جملة أشعاره وأخباره، أنه كان إماماً في الشعر، من جهة، وأن قصائده، تبعاً لأثرها الواسع في طبقات المجتمع، ولوقعها الطيّب في نفوس الخلفاء والوزراء، أصبحت شعراً جماعياً، واسع الانتشار، قابلاً للتناقل والحفظ والإضافة والمعارضة. يحفظه أهل الشعر والأدب، كما يطلبه الخلفاء، وتتناقله العامة، وتغنيه القيان والجواري. ومن الظواهر اللافتة للانتباه، في المجتمع المدني البغدادي في عصر أبي نؤاس، وهو عصر الحضارة العباسية في أوج ازدهارها أيام الرشيد وابنيه الأمين والمأمون، أنّ أشعار أبي نؤاس جاءت استجابة لفعل هذه المدينة في المجتمع وطبقاته، فكثير من قصائد أبي نؤاس يفيض بحيوية المجتمع المدني العباسي، المتلئ بالرفاهية والغناء والقيان، وصولاً الى مباذل الحياة ومتعيّتها... والأرجح أنه وجد في هذا المجتمع، جماعات تواظبت على اللذة الحسيّة والإجهار بذلك بالخلاعة والشراب والعلاقات الجنسية بما في ذلك المثليّة منها بتوفّر الغلمان، فضلاً عن الجواري، والأرجح أيضاً أن السلطة السياسية المتمثلة بالخلفاء والوزراء والقوّاد وسُراة القوم، لم يكونوا بمنأى عن هذه المتعية الاجتماعية، فانخرط مجتمع بكامله في ذلك، وكان شعراء من أمثال أبي نؤاس وبشار بن برد ومطيع بن أياس والحسين بن الضحّاك الخليع، ومسلم ابن الوليد وآخرين غير مشهورين، يتداولون المجالس والأشعار، كما كان المغنّون يغنّون هذه الأشعار، والقيان يحفظنها وينشدنها في مجالس الطرب والأنس... كان كل هذا المشهد يتمّ على مرأى ومسمع ومشاركة من السلطة الحاكمة... وكان ثمة رخصة، على ما يظهر، حول بعض المحرمات. فقد عرف فقهاء شعراء وأصحاب مجالس أنس... كل ذلك في مناخ الحضارة العباسية التي أنتجت أشعار أبي نؤاس وأمثاله.

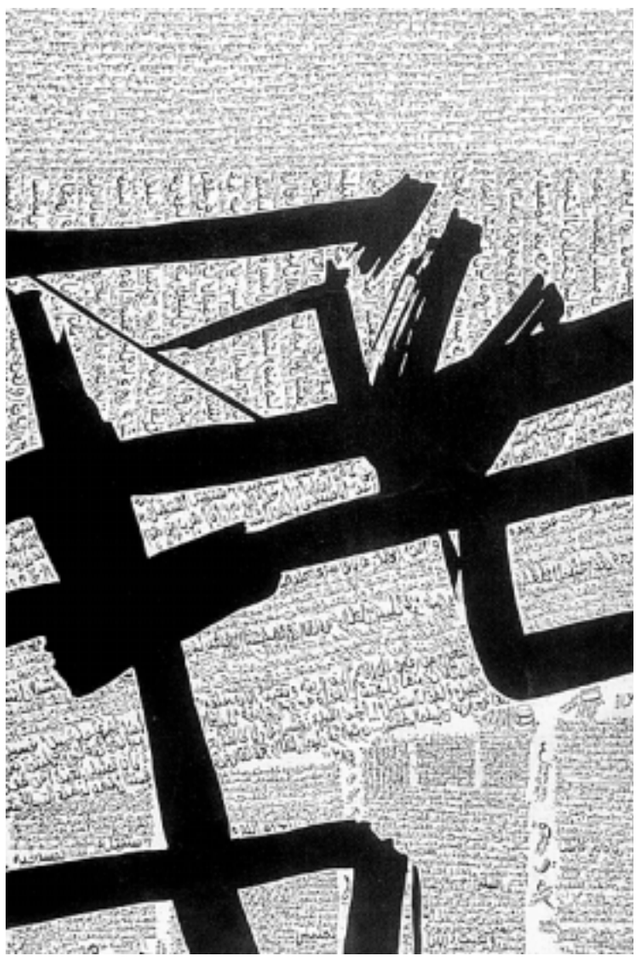

تخطيط للرسام الجزائري رشيد القريشي.

إعادة اكتشاف امرئ القيس

■ لا يزال شعر امرئ القيس خالداً في اعماقنا، نابضاً في قلوبنا، حاملاً عبق التاريخ والتراث، وروح الحياة الفياضة، يحمل اسراراً غامضة، وسحراً خاصاً، يثير في وجداننا أحلاماً، تذهب بنا بعيداً في عالم الصحراء، وما ينساب على رمالها من حياة وهجير وما يدب في ظلماتها من آمال وأحلام.

ظل ديوان امرئ القيس في ذاكرة الرواة يتناشدونه ويحفظونه ويصونونه من الضياع. وجاء العلماء والنقاد فاحتفلوا به وتدارسوه، وشرحوه شروحاً كثيرة، ضاع اكثرها، وطوقتها يد الزمان وعادياته.

وأخيراً اعيد اكتشاف شعر امرئ القيس، وهذا الاكتشاف اعاد الشاعر الى الاذهان بقوة، فكأن العصر الذهبي للشعر يطل علينا من جديد مرة اخرى في زمن تلاشت القصيدة المنظومة أمام قصيدة النثر. قدم هذا الاكتشاف الناقدان انور ابو سويلم، ومحمد الشوابكة وهما عكفا ثلاث سنوات على «ديوان امرئ القيس» وملحقاته بشرح ابي سعيد السكري المتوفى ٢٧٥ هجرية.

تعود اهمية شرح ابي سعيد السكري لشعر امرئ القيس الى جمعه روايات العلماء في مرحلة الاصالة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهو أهم شرح لديوان امرئ القيس، سعة وشمولاً، ودقة وعناية، يكشف ما يكتنف معاني الديوان من غموض، ويلقي اضواء على الظلمات التي نسجتها القرون المتطاولة استاراً كثيفة على شعر شاعر العرب الاول: امرئ القيس. ظل هذا الشرح بعيداً من متناول القارئ العربي، وظن كثيرون انه ضائع لا محالة، حتى قام المحققان باكتشافه ومركز «زايد للتراث» بطبعه في ثلاثة مجلدات فاخرة.

لعل اروع ما في الشرح جمعه روايات العلماء من امثال: ابي عمرو بن العلاء (١٥٤ هجرية)، وحماد الراوية (١٥٦)، والمفضل الضبي (١٧٨) ويونس بن حبيب (١٨٢) وابن الكلبي العالم الشهير بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها، وله مؤلف مهم: «ما في شعر امرئ القيس من اسماء الرجال والنساء وأنسابهم واسماء الارضين والجبال والمياه». ويؤكد محققا كتاب السكري انه استعان في شرحه بابن الكلبي حتى تتزاحم نقوله عنه، وتصل في مجموعها الى ثمانية وعشرين شرحاً: رواية أو تفسير، نسب أو تعريف بمكان او حادثة. ومن جديد ما قدم في هذا العمل هو الكشف عن ابيات بلغت مئتي بيت من اشعار امرئ القيس كانت مجهولة، ما يعتبر إعادة اكتشاف شعر هذا الشاعر الاسطورة.

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن معاوية وهو من كندة، ورجح شوقي ضيف انه ولد في اوائل القرن السادس الميلادي، أقام جده ملكاً في قبائل نجد في أواخر القرن الخامس، وامتد ملكه الى الحيرة. وعندما تفاسدت قبائل نزار اتاه اشرافهم وشكوا اليه ما نزل بهم، ففرق اولاده في قبائل العرب، فملك حجراً والد امرئ القيس الشاعر على أسد وغطفان وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأسرها، وملك ابنه معديكرب، المسمى بغلفاء على بني تغلب. وبقوا على ذلك الى ان مات ابوهم، فتداعت القبائل وتحزبت وثارت على ملوكها، ووقعت حرب بين شرحبيل وأصحابه من جهة وأخيه سلمة بن الحارث وأصحابه من جهة ثانية بالكلاب، فقتل شرحبيل وانهزم اصحابه. يغلب على اخبار امرئ القيس الاساطير، ومن ذلك ما رواه هشام الكلبي، إذ زعم ان اباه طرده، وألى ألا يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، فكان امرؤ القيس يسير في احياء العرب، ومعه اخلاط من شذاذ القبائل.

وقيل إن خبر مقتل ابيه أتاه في دمون من ارض اليمن. ويرجح شوقي ضيف وفاته بين سنتي ٥٣٠ ميلادية و٥٤٠ ميلادية.

تعود اهمية شعر امرئ القيس الى أن قصائده ظلت تبعث على التقليد والاتباع، وانبهر بقصائده عدد كبير من شعراء العربية في مختلف العصور، ورأوا فيها الصورة الانموذج لبناء القصيدة الفني والموضوعي. وشعره يمثل مرحلة مبكرة من الاسلوب الخاص في عرض العواطف والافكار والقضايا وتشكيلها على نحو مؤثر. وكثيراً ما كان امرؤ القيس يرتد الى اعماق التجربة الانسانية فيتمثلها ويشكلها تشكيلاً فنياً يضفي على الوجود معنى وروحاً ونظاماً.

خالد عزب

أما حان وقت الخروج من المستنقع العراقي «العكر»؟

■ في مقالته «العراقيون والعرب: مماحكات ثقافية لها بعد سياسي» «الحياة» ٢٠٠٣/٦/١٥)، ذكر شاكر الانباري فقرة ذات خطورة نابعة من السياق الذي جاءت فيه ... وهي الآتية: «الشاعر العراقي خالد المعالي المقيم في المانيا، الذي عانى ما عاناه في أروقة الأمن، وأسس دار «الجمل» لاحقاً، وجّه له (أي لمحمود درويش) على عنوانه في قبرص، وكان سليم وقتها سكرتير تحرير مجلة «الكرمل»، طرداً بريدياً مملوءاً بالعظام»! عندما يقرأ القارئ هذه الفقرة في سياق المقالة، يتصور كأن محمود درويش ارتكب خيانة ما في تلك اللحظة، ما حدا بالمعالي الى أن يأخذ موقفاً سياسياً منه. والخطر الثاني هو ان عبارة «طرداً بريدياً مملوءاً بالعظام» في سياق المقالة حيث يتحدث الانباري عن المقابر الجماعية طفقت توحي وكأن المعالي بعث بعظام شهداء عراقيين الى درويش لكي يذنبه.

أما الحقيقة والكل يعرفها فهي: بعد أن رفض سليم بركات نشر قصائد المعالي في اواخر الثمانينات لرداءتها، لم يجد هذا الأخير وسيلة للانتقام من سليم بركات إلا الطريقة البعثية بإرسال طرد بريدي مملوء بعظام الحيوانات، وبالتالي بث الرعب التهديدي في نفس الآخر. وبالفعل عندما ذهب سليم بركات الى البريد وفتح الطرد شعر بقشعريرة ورعب وكأن تهديداً إسرائيلياً استهدف مجلة «الكرمل». والشعور هذا جد طبيعي بالنسبة الى أي إنسان، فكيف لشخص كانت له علاقة بنشاط المقاومة الفلسطينية في الثمانينات. ومع هذا كان لسليم بركات حظ في النجاة. إذاً الأمر هو مجرد حزازة «شاعر» رفضته مجلة لاعتبارات فنية، وليس موقفاً سياسياً كما يريد الانباري. إنه مجرد عمل شخصي لا علاقة له بمواقف المثقفين العراقيين.

لا أعرف ما هو غرض شاكر الانباري باقحام مسألة المعالي هذه في اشكالية صراع ثقافي بين انفرادية عراقية وجماعية عربية، بين ثقافة باتت ضحية النظام العراقي وتكسرت بسببه وثقافة عربية عاجزة عن الافصاح تتستر على هذا النظام... اشكالية معقدة أبرزتها حرب تحرير العراق، بفرض استنطاقاً تساؤلياً حول أزمة كل الفكر العربي وعلاقته بالحاكم، وحول مفهوم تقسيم العمل نفسه الذي يرزح تحت سطوته المثقف، عربياً كان أو عراقياً: باختصار علاقة الحاكم والمحكوم.

كان يجب قبل الخوض في العلاقات المتوترة بين المثقفين العراقيين والمثقفين العرب، ان يجيب أحدنا نحن العراقيين عن هذا السؤال: لماذا كل هذا الكلام المتواتر فقط ضد مثقفين قبلوا دعوات النظام العراقي، وليس ضد مثقفين قبلوا دعوات النظام السوري، المصري، اليمني الخ...؟ مَن انظف ممّن؟ كان على الانباري بالأحرى أن يستخدم مسألة المعالي هذه بالذات للكشف عن الحقيقة المرة وهي أن معظم الشتائم التي يكيلها للمثقفين العرب، بعض المنتمين الى ما يسمى بالثقافة العراقية في الخارج، سببه حزازة نفسية لا أكثر ولا أقل.

العراق المقبل عليه ان يكون بلد الاطاقة الأخلاقية والتفهم المتجاوز صغائر الأمور، وليس مستنقع مياه عكرة يتصيد فيها ممتهنو ثقافة التذنيب الذين لا شغل لهم سوى شغلة تذنيب هذا أو ذاك تغطية لوسخهم، وبهدلة المواقف الجدية وبالتالي خلط حابل العلة بنابل السبب. نعم هناك مثقفون عراقيون حقيقيون وجهوا ولا يزالون يوجهون (سرمد الطائي، امير الدراجي، مؤيد الراوي، عبدالخالق حسين، داود البصري، حسين كركوش، رياض عبد الأمير، عواد ناصر، صادق الصائغ، عقيل الناصري، عزيز الحاج... الخ) نقداً جدياً الى الثقافة العربية من دون الوقوع في مطب التذنيب والتنديد الجديرين بأخلاقية النظام الصدامي المخلوع وممارساته.

يجدر بالمثقف العراقي الجديد أن يترك المثقفين العرب الذين يعتقد انهم «تعاونوا» مع نظام صدام، بعيداً من اهتمامه... أن يتركهم هم وضمائرهم. فالجوهر هو ألا يتحول الى قاض والحكم بالموت مقرر سلفاً في رأسه... بل عليه أن يلتفت إلى طاقته إذا كانت له فعلاً طاقة إبداعية... أن يحفزها على انتاج عمل ابداعي يغير الذائقة العربية (وهنا يكمن مشروع كل حداثة حقيقية تغيير الذائقة) التي انتجت هؤلاء المثقفين العرب بقدر ما هم انتجوها. ولانجاز هذا العمل المطلوب حتى ولو في شكل مشظى، يجب الانطلاق من مساءلة الذات قبل محاكمة الآخر...

إذا العراق حرٌ. فهو حر لأنه الضفة الثالثة التي تنتشل الثقافة العربية الغارقة في الأسود والأبيض. اعتباراً من هنا، هذا العراق الجديد الذي يحلم به كل عراقي نبيل ليس في حاجة الى دونكيشوتات نزوية وبالتأكيد ليس بحاجة الى جل هؤلاء الذين يلفقون لأنفسهم موقفاً وتاريخاً لا وجود لهما على الاطلاق.

أمير العبيدي

رؤية عراقية: لوحة للرسامة العراقية سعاد العطار خصت بها «الحياة»

«فصول» المصرية: الثقافة وثورة تموز

□ *القاهرة – سامي كريم*

■ صدر العدد الرقم ٦١ من مجلة «فصول»، التي تصدر فصلية عن «الهيئة المصرية العامة للكتاب»، متضمناً ملفاً تحت عنوان «الثقافة وثورة تموز» لمناسبة ذكرى مرور ٥١ عاماً على قيام ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ في مصر، التي رأى رئيس مجلس ادارة المجلة الناقد سمير سرحان أنها «ليست تجربة في التاريخ وليست حدثاً منتهياً في الزمن، وتلك هي معجزة التجارب الكبيرة وسرها، ان تتحول من كونها وقائع وأحداثاً وتواريخ، لتصبح سيراً ومصائر شخصية».

وفي افتتاحية العدد تقول رئيسة التحرير الدكتورة هدى وصفي إن النقاط الاساسية لموضوع الملف تركز على تجربة تموز في السياق التاريخي والثقافي للحداثة العربية وكيف تعامل المثقف مع التجربة، وكيف صاغ موقفه منها وكيف يمكن بالتالي رؤية العلاقة بينهما بمستوياتها المتعددة: السياق والجدل، التحولات.

وتضيف انه على مستوى معرفي مجمل يطرح ملف العدد كيف يمكن رؤية العلاقة بين الثقافي والسياسي، وهل يمكن التمييز بين الثورة / الحركة والثورة/النظام، واجراء التمييز ذاته بين الكتابة / الابداع والكتابة / الوظيفة.

وتتصدر قسم الدراسات في العدد دراسة لإبراهيم فتحي، عنوانها «تطور أدوات الصياغة الروائية من الواقعية الى الحداثة»، وفيها تقلص دور الحبكة الغائبة في الحداثة من الرؤية التي تقوم على الكلية والاستمرار، في الرواية الواقعية، الى أن اصبحت الحبكة ذات أحداث مفككة عرضية تنصب على وحدة متخيلة للنص الروائي.

وتلت ذلك دراسة لسامي سليمان احمد حول «المؤسسة النقدية والاستجابة لتغير الواقع: خطاب النقد المسرحي الاجتماعي المصري من ١٩٥٢ الى ١٩٦٧ نموذجاً». ويتضمن العدد دراسة لعبدالله الغذامي عنوانها «الزواج السردي: الجنوسة النسقية»، يستند فيها الى مفهوم «المؤلف المزدوج»، حينما تتولى الثقافة كتابة أنساقها الخاصة من تحت الخطاب، وبذلك لا يتكلم الشعراء والرواة بلسان حالهم الذاتي، وانما هم ادوات نسقية تتكلم بلسان النسق وشرط الثقافة.

وفي قسم الترجمات مقال لريشار جاكمون عنوانه «بعض ملامح العلاقة بين الكتاب والسلطة في مصر منذ ١٩٥٢»، يتحدث فيها عن تأثير ازمة السويس (١٩٥٦) في العلاقة بين الدولة والمثقفين واحتكار الدولة غير المرئي للثقافة من خلال التوسع في المؤسسات الثقافية التابعة لها أو تأميم مؤسسات قائمة.

ويتناول مصطفى بيومي «صورة الزعيم: الواقعي والمتخيل، ثلاثية جميل عطية نموذجاً»، ويدرس مصطفى الضبع العمل نفسه في اطار علاقته بثورة تموز.

وفي قسم النقد التطبيقي مقال لنبيل سليمان عن «الارهاب في الخطاب الروائي العربي»، ومقال آخر لسلمى مبارك عنوانه «الصوت والصمت في السينما والادب»، وبحث يتضمن قراءة تأويلية في مشروع الناقدين مصطفى ناصف وشكري عياد في اطار «الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ازمة تأسيس أم اشكالية تأصيل».

مثقفون عرب في باريس يتضامنون مع الغيطاني

□ *باريس – «الحياة»*

■ أصدر مثقفون عرب في باريس بياناً يتضامنون فيه مع جمال الغيطاني، وجاء في البيان: «يتعرض الروائي جمال الغيطاني لحملة ترهيب متنكرة بقضية أدبية مزعومة، إذ ينصّب متهموه أنفسهم قضاة في الأدب والأخلاق. ان الموقعين أدناه إذ يتضامنون مع الغيطاني يودون التأكيد ان هذه الحملة تتزامن مع الشكوى الأميركية من ثقافة الممانعة العربية والشكوى الاسرائيلية الدائمة من ثقافة المقاومة. ولئلا نسمح للأميركيين والاسرائيليين بفرض مدونة سلوك ثقافي على نخبنا، ولئلا نسمح لأية جهة باحتلال رؤوسنا بعد احتلال أراضينا، نعبر عن تضامننا بقوة مع الغيطاني ونعرب عن استعدادنا التام لمساندته في قضية القدح والذم التي رفعها ضد المتحاملين عليه أمام القضاء المصري». اعد البيان وجمع تواقيعه فيصل جلول. ومن الأسماء الموقعة: باتريك لاما، نبيل أبو شقرا، غسان عبدالخالق، محمود العزب، يوسف عبدلكي، عيسى مخلوف، صبحي حديدي، خليل النعيمي، بدر الدين عرودكي، سيف الرحبي، سلوى النعيمي، وليد شميط، وسواهم.